الفصل الثالث
الإعلام الغربى والإعاقة

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثالث
الإعلام الغربى والإعاقة

في ظل التطورات المتسارعة في مختلف حقول الاعلام والتي بات من الصعب معها القفز على المشكلات الحقيقية التي تواجه مجتمعاتنا العربية ومن بينها مشكلات الفئات " الخاصة" سواء تلك التي تصنف وفقا للمنظور السسيولوجي او وفقا للمنظور الديموغرافي، ولعل من بين اهم تلك المشكلات والتي بدأت بالازدياد ككرة الثلج وهي تتدحرج دون ان يستطيع احد ان يوقفها " مشكلات الاعاقة" وانعكاساتها على المجتمع، خاصة وان هذه الظاهرة اخذت تزداد في بلدان العالم الثالث نتجة للحروب المستمرة والاوضاع الصحية المتردية في هذه البلدان ، وخاصة في بلداننا العربية وتشير الاحصائيات الى وجود نحو 600 مليون من ذوي الاحتياجات الخاصة في العالم 80 في المائة منهم في الدول النامية، ووفقا للاحصائيات السعودية الرسمية فان هناك750 ألف معاق في السعودية و2 إلى 6 ملايين في مصر و400 ألف في لبنان و216 الف في سوريا ويقدر عدد المعاقين في العراق بنحو مليون شخص والعدد في ارتفاع مستمر بسبب اعمال العنف المستمرة هناك، في حين اعتمدت الامم المتحدة نسبة 10٪ كعدد للاشخاص المعاقين من مجموع السكان في العالم اليوم ورغم كل تلك الاعداد المتنامية يجد الباحث ان الاعلام العربي مازال عاجزا عن ايلاء هذه الشريحة من المجتمع الاهتمام الكافي مما استدعى الحاجة لتسليط الضوء على هذه الظاهرة ومدى انعكاسها في وسائل الاعلام المرئية.

تهدف الدراسة الحالية للاجابة عن التساؤلات التالية:

1\ كيف تناولت وسائل الاعلام المرئية موضوعة الاعاقة؟

2\ ما هي صورة المعاق في القنوات الفضائية العربية؟

3\ ما هو السبيل لاقامة فضائية خاصة بذوي الاحتياجات الخاصة؟

المصطلح:

تعريف الاعاقة والمعوق:

تعرف الإعاقة بصفة عامة على أنها إصابة بدنية أو عقلية أو نفسية تسبب ضرراً لنمو الفرد البدني أو العقلي أو كلاهما. وقد تؤثر في حالته النفسية وفي تطور تعليمه وتدريبه والإعاقة ليست مرضاً ولكنها حالة انحراف أو تأخر ملحوظ في النمو الذي يعتبر عادياً من الناحية الجسمية، الحسية، العقلية، السلوكية، اللغوية، التعليمية، مما ينجم فيه صعوبات وحاجات خاصة لا توجد لدى الأفراد الآخرين. وهذه الصعوبات والحاجات تستدعي توفير فرص خاصة للنمو والتعلم واستخدام أدوات مكيفة يتم تنفيذها فردياً وباللغة التربوية. في حين تعرفه مؤسسة السلام والتأهيل 1984 بأن: "المعوق هو كل من افتقد القدرات الحيوية Vital للمعيشة الاستقلالية دون مساعدة خارجية نتيجة لقصور بدني أو حسي أو حركي أو فكري".

اولا: الفضائيات العربية

تتوزع الفضائيات العربية على أقطار الوطن العربي بمعدل فضائية أو أكثر لكل بلد عربي وتعد محطة الـ(M.B.C) من أولى المحطات الفضائية التي أنشئت بعد حرب الخليج الثانية وبالتحديد في أيلول عام 1991، والتي انتشرت سريعاً بسبب خلوّ الساحة الفضائية العربية من أي منافس، وفي عام 1992 أنشئت محطة الـ (A.R.T) وهي تقدم خمسة برامج للأطفال والرياضة والمنوعات والموسيقى والأفلام فضلا عن ثلاث قنوات موجهة إلى أفريقيا وأوربا وأمريكا. ولعل ما يثير الدهشة أن هاتين المحطتين اللتين سبقتا كل المحطات الفضائية العربية كانتا خاصتين، وبرؤوس أموال عربية؛ أي إن الحكومات العربية لم تلتفت إلى أهمية هذا النوع من الإعلام إلا بعد تفكير القطاع الخاص بها! كما أنهما كانتا الى فترة قريبة تبثان برامجهما من خارج الوطن العربي (لندن).

بعد ذلك أنشأت محطتا دبي ومصر، ثم لبنان والسودان والمغرب وسوريا وتونس وليبيا وموريتانيا والأردن وباقي الدول العربية، وكان آخرها العراق الذي تأخر في إطلاق فضائيته بسبب إجراءات الحظر الدولي عليه، ثم ظهرت قنوات أخرى تأخذ نوعاً من الاستقلال الفني عن الدول التي تدعمها، كما هو الحال مع قناة الجزيرة التي ظهرت في عام 1996، وقناة الإمارات العربية المتحدة (E.B.C) في عام1997، ثم القمر المصري (النيل سات) والذي بث فيه المصريون أكثر من ثماني قنوات تعليمية مشفرة وأخرى للدراما والموسيقى والرياضة، فضلاً عن قناة النيل الناطقة باللغة الإنجليزية.
كما أنشئت محطة الأوربت المشفرة والتي تقدم أكثر من تسعة برامج للمنوعات والأفلام والرياضة والموسيقى والأزياء وغيرها، ثم ظهرت قناة اقرأ التي تعنى بالأمور ذات الصبغة الدينية والتاريخية، و محطة تلفزيون المنار بعد أن تحولت في عام 2000 إلى فضائية. ولم ينقطع هذا المد الى اليوم فبين الحين والاخر نسمع او نشاهد ولادة فضائية جديدة.

والذي ينظر إلى هذا الكم الكبير من الفضائيات العربية والتي يتجاوز عددها المائتين يصاب بالدهشة للتأثير الضعيف الذي تمارسه هذه القنوات في الرأي العام العالمي وصوتها المبحوح في إيصال قضايا العرب المصيرية، وبالذات قضية فلسطين وباقي الأراضي المحتلة، وصورة المسلم الصحيحة والتي تشوهها الفضائيات العالمية بصورة مستمرة، سواء أكان ذلك في الأخبار اليومية أو الأفلام الدرامية أو الوثائقية أو البرامج المنوعة، حتى الأغاني لم يسلم منها العربي أو المسلم والتي غالبا ما تظهره بصورة ساخرة.
ويبدو أن الخطاب الإعلامي لهذه الفضائيات مازال موجها إلى الداخل أكثر مما هو موجه إلى الخارج، وبالتالي فهي تأخذ دور القنوات التلفزيونية الأرضية التي تعنى بهكذا نوع من الخطابات، كما أن تحليل المادة المبثوثة منها يكشف عن تداخل الأوراق بين البرامج المخصصة لأبناء البلد الذي تبث منه القناة وأبناء البلد المغتربين في الدول الأخرى، والناس الآخرين الذين يشكلون

الرأي العام العالمي، والذين يشاهدون القنوات الفضائية بشكل عام، والذين تؤكد إحدى الدراسات أن عددهم يربو على الـ70٪ في بعض المجتمعات.

ورغم أن بعض القنوات الفضائية العربية قد حاولت أن تتفرد عن غيرها وتقترب من هذا المفهوم مثل قناة الجزيرة التي تدعي أنها قناة غير قطرية ولا عربية وإنما قناة عالمية تبث باللغة العربية وكذلك قناة الـMBC و قناة العربية التي يرى القائمون عليهما أنهما قناتان تأخذان الجانب الحيادي في نقل الأخبار وتنافس الآراء، إلا أن الملاحظة الدقيقة تكشف للمتابع العادي وغير المختص ضعف الكثير من البرامج التي تقدمها هذه القنوات، ولكي نكون موضوعيين ينبغي أن نحدد أهم مؤشرات السياسة الإعلامية للقنوات الفضائية العربية والتي يمكن تحديدها بما يلي :

1) إن معظم القنوات الفضائية العربية تنتهج مبدأ تجميل صور السلطات السياسية لبلدانها على حساب قضاياها المحلية وما يعانيه المواطن العربي من استلاب لحريته ومصادرة لثقافته واختفاء الرأي الآخر الذي تجد فيه السلطات الحاكمة نوعا من التجاوز اللامقبول إطلاقا.

2) اعتمادها الكبير على المواد المنتجة في الدول الغربية وافتقارها للمواد المحلية وخاصة الأفلام والمسلسلات الدرامية والبرامج الأخبارية. وهذا ينعكس تماما على نوعية الصور التي تنتجها هذه المصادر وبالذات صورة المسلم بلحيته الكثة وملابسه المغبرة وهو يحمل سلاحه فوق كتفيه واقفا بين أطفاله الحفاة!! او مجموعة من الملثمين يحتجزون رهينة مسلطين عليها اسلحتهم بل وتمادت الكثير من القنوات ببث مشاهد قتل لاشخاص بطريقة بشعة وتحت لافتات كتبت عليها كتابات اسلامية!! وبالتالي فهي تستجيب إلى الصورة التي يود المصدر إيصالها إليها دون أن تلتفت إلى مخاطرها الكبيرة.

3) غياب التنسيق الإعلامي بين هذه القنوات، وإحلال مبدأ التنافس على حساب المصلحة القومية أو الدينية وفشل التجربة التي دعت إليها الجامعة العربية واجتماع وزراء الإعلام العرب بتوحيد بث القنوات المحلية لساعات

محددة بغية اطلاع المواطن العربي على ما تقدمه القنوات العربية الأخرى من مواد.

4) عدم وضوح التوجه السياسي لهذه المحطات وتوزعها بين الطروحات العريضة لأهدافها وبين ضعف المنجز الفني والثقافي والتربوي وبالتالي غياب الهوية التي تميز هذه المحطات عن بعضها أولا وعن غيرها ثانيا.

5) الخلط الواضح بين القنوات الأرضية والفضائية فيما يقدم من برامج فيهما ويمكن ببساطة شديدة إحلال أحدها بدل الأخرى دون الشعور بتغيير واضح!.

ثانيا: صورة المعاق في الفضائيات

كثرت الدراسات على الجانب التأثيري للصورة على المشاهدين وأصبحت تصنع بعناية تأخذ أهميتها من الجانب التجريبي في البحوث العلمية فقسمت إلى صور ثابتة فوتوغرافية وأخرى متحركة تلفزيونية وسينمائية وكلاهما يتضمنان لقطات(قريبة ، متوسطة ،عامة) وهذه اللقطات تقسم بدورها إلى عدة أنواع أخرى وتأخذ زوايا نظر مختلفة مثل(فوق مستوى النظر ، مستوى النظر ، تحت مستوى النظر) ولكل من هذه اللقطات والزوايا معنى خاص يفهمه المتخصص ويأخذ تأثيره النفسي على المشاهد العادي فمثلا ، أن زاوية فوق مستوى النظر تستخدم عادة في تصوير القادة والزعماء الذين يأخذون نوعا من التبجيل والاحترام وتعطي الشخصية داخلها حجما أكبر مما هي عليه وتسمى في المصطلح الفني بـ(زاوية العظمة) أما زاوية تحت مستوى النظر فغالبا ما تستخدم في حالات عدم التقدير والاحترام وتجعل الشخص داخل الصورة أقل حجما مما هو عليه وتسمى بـ(زاوية الاحتقار) أما إذا كانت الصورة متحركة فأنها تأخذ مدلولات أخرى كـ(الحركة البندولية ، الحركة الحلزونية ، الحركة المستقيمة... الخ) ولكل منها معنى واستخدام خاص. ولم يقتصر الآمر على هذا الحد فقد أخضعت الصورة إلى التجريب في محتواها الداخلي وأجريت عشرات التجارب التي تقيس مدى التأثيرات المحتملة على المشاهدين إذا تضمنت الصورة عددا من الكتل داخلها(أقل من 7 كتل ،

أكثر من 7 كتل) فكلما كانت تتضمن 7 كتل فأقل تكون أقرب إلى الاستيعاب والفهم وبالتالي التذكر لمحتوياتها وهي ترتبط نوع ما بأرقام الهاتف السبعة الأساسية التي يسهل تذكرها وتأخذ بالصعوبة كلما ازدادت على هذا الرقم كما درس مكان هذه الكتل(أعلى يمين الصورة، أعلى الوسط، أعلى يسار، في مركز الصورة، أسفل الصورة يمينا ويسارا) ثم تطورت التجارب لتشمل تأثيرات اللون عليها(ملونة، غير ملونة) وما تأثير مصاحبة التعليق لها من دونه، وما زالت التجارب تجرى لمعرفة المزيد من أسرار التأثير لهذا المكتشف التقني الهائل وفي إطار هذه المسألة يشير المفكر الفرنسي(ريجسيت دي بري) إلى (أن اللغة الفرنسية فقيرة لا تحتوي سوى كلمة واحدة للدلالة على أشياء كانت اللغة الإغريقية القديمة تعبر عنها بخمسة عشرة كلمة، وتملك اللغة اليابانية عشرات الكلمات للتميز بين الصورة الذهنية، والصورة المقدسة، والصورة المنقوشة، والصورة الزيتية، والصورة المستنسخة آليا، والصورة الفوتوغرافية، والصورة السينما طبوغرافية، والصورة الأدبية) أن هذا التوجه لإحلال الصورة بدل الكلمة يأخذ مدلولات خطيرة إذا ما عرفنا أن الصورة تتجه مباشرة إلى الفورية في نقل الأحداث إلى مجموعات كبيرة من الناس وليس إلى شخص بعينه والفرق شاسع بين الوعي الفردي والجماعي كما هو معلوم أي إنها تتوجه إلى القاعدة العامة من الجماهير دون المرور على(الفلتر) الذي يمكنه أن يشذب ما يمكن تشذيبه، ولعلنا لا نأتي بجديد عندما نذكر أن بعض القنوات العربية قد برعت في هذا الجانب كثيرا(صناعة الصورة Image Marking) وبدؤوا في تناول الأمور ما بين التشويه والتحسين وفقا لمصالحهم وأهوائهم موزعين الجهد على صناعة الأخبار وتأثيراتها(الرأي) وما تحمله من نجوم يمكنهم التأثير المباشر على متلقيهم من الشباب بطريقة (النمذجة) وهي نوع من الاندماج بين الشخصية(النجم) وبين من يحاكيها من الآخرين(الجمهور) عبر سلسة من القصص المحبوكة الكتابة والمعروفة

المقاصد ومن هنا فان صورة المعاق قد تتوزعت في القنوات الفضائية إلى عدة محاور منها :

1- الأفلام السينمائية والمسلسلات الدرامية.
2- البرامج الوثائقية(الريبورتاج).
3- الموسيقى والأغاني .
4- الإعلان

وغالباً ما تصور هذه المحاور المعاق بطرق متعددة لكنها تتفق على وحدة المضامين، فهي إما تصوره (لصاً) أو عضواً في عصابة إرهابية، وهو ما بدأت به السينما 1898مع فليم توماس اديسون والمعنون" المتسول المزيف" وهو فليم قصير جدا" 50 ثانية" يتحث عن شخص يدعي الاعاقة لتحقيق مأربه الخاصة بخداع الاخرين!! ، ثم تاولت الافلام التي تناولت نفس الموضوعة او تدور في فلكها ومنها:

فليم المتسولون المحتالون للمخرج جميس وليامسون،فيلم خدعة المتسول للمخرج سيسيل هيبورث،فيلمي المتسول المحتال و الاعمى المزيف للمخرج سيجموند لوبين،فيلم خدعة الرجل الاعمى للمخرج ارثر كوبر، وهي افلام قدمت صورة نمطية عن المعاق شكلت فيما بعد تقاطعا حادا باراء النقاد والدارسين حول اهميتها في كشف المخزون من الارث الثقافي والاجتماعي الغربي عن المعاق وسلبيتها في تقديم صورة مشوهة عنه في ذات الوقت، أو تصوره شخصية جيدة وتزرع فيه الامل كما هو الحال مع الفيلم المهم لشاري شابلن " اضواء المدينة" أو فيلم " افضل ايام حياتنا" في عام 1946 وهو من بطولة شخص معاق في الاصل.

وفي دراسة قام بها معهد الدراسات المعلوماتية عن صورة المعاقين في الاعلام بينت مايلي:

1\ انهم اشخاص خطرون واشرار
2\ اشخاص عدائيون غاضبون.

3\لوحات خلفية تكميلية(خلق جو)

4\ اشخاص مثيرون للشفقة والعطف.

5\اشخاص منحرفون وشاذون.

6اشخاص عاجزون وغير مهرة.

7\اشخاص مهرجون ومضحكون.

8\ اشخاص سيئون حتى على انفسهم.

9\ اشخاص معجزون وخارقون.

10\ اشخاص عالة على الاخرين.

وهناك الكثير من الافلام السينمائية التي قدمت صورا من تلك التي صنفها المعهد وحصلت على جوائز عالمية مهمة منها:

فليم " الطيران فوق عش الواق واق" 1975،

وفيلم فوريست غم 1979،

وفيلم رجل المطر 1988،

وفيلم قدمي الشمال 1989،

وفيلم اطفال الاله الاقل شأنا 1986.

اما السينما العربية فقد تناولت بشكل مبكر موضوعات الاعاقة كما حدث ذلك في السينما الغربية فقد قدمت السينما المصرية عام 1944 فليم " ليلى في الظلام" من اخراج نوجو مزراحي عن فتاة تفقد بصرها وترفض الاستمرار مع حبيبها ثم توالت الافلام التي تنهج نفس المنهج في التناول .

وهذه الافلام قدمت المعاق بطريقة لا تختلف عن الموضوعات الاتي صنفها المعهد ايضا ولكن بطريقة تراوحت بين التقليد المشوه عن الفليم الغربي او تقديم صورة جيدة ومكافحة للمعاق، ولكن هذا النمط من الافلام قليل ونادر في ذات الوقت. ويتبين من فحص هذه الافلام انها قدمت

انواع مختلفة من الاعاقة شملت:

1\فقد البصر

obeikandl.com

2\فقد الذاكرة

3\الاضطرابات العقلية والنفسية والذهنية.

4\التشوهات الجسدية

5\فقد السمع

6\اضطرابات التعلم

7\التوحد واضطرابات السلوك

8\العجز الوظيفي

9\قصر القامة

10\اصابات العمود الفقري

اعاقات مختلفة اخرى.

وهي بالتالي حاولت استغلال نوع الاعاقة من اجل التأثير على المشاهد وقد انعكس ذلك سلبا على صورة المعاق في المجتمع لاقتران هذه الصورة بمثيلاتها في الافلام التي قدمتها السينما في تلك الفترات. وتشير الكثير من الدراسات التي اجريت على دور الصورة في إحداث التأثير على المتلقي وتغيير سلوكه في شتى المجالات الحياتية بجانبيها الايجابي والسلبي، ولعل الجانب الاخير اخذ حجماً اكبر من حيث الدراسة والاثر المتوقع حدوثه وخاصة تلك المتعلقة بالعنف والاطفال والجنس وغيرها ، ولكن اهم مايمكن تأشيره في هذا الجانب هو تحول الصور الوافدة سواءً تلك التي تبثها الفضائيات ام الصحف ام الافلام السينمائية وسائل الاعلام الاخرى الى مصادر حقيقية للصور الذهينية وبالتالي بدأ الانسان بفقدان صوره التي انشأها هو لصالح الصور الجديدة بطريقة لا يمكن تصورها ويشير (جيري ماندر) إلى (ان الفضائيات تعد اليوم واحدة من اهم مصادر الصورة . فإذا كان الناس يتلقون الصور التلفازية بنسبة اربع ساعات يوميا فمن الواضح انه مهما كانت فوائد الصور التي يحملها الناس في افكارهم فإن الفضائيات الان هي مصدرها"

وإذا كان هذا هو حال الصورة في الأفلام السينمائية التي تطول قائمة

obeikandl.com

الاستشهادات بها ، فإن حال التلفزيونات لا يختلف كثيراً عن حال السينما ، فغالباً ما تظهر صورة المعاق، ولو بشكل خاطف، في البرامج التلفزيونية بطريقة تثير الكثير من التساؤلات. فغالبا ما تستخدم مفردات في البرامج الدرامية او البرامج الحوارية تسيئ للمعاق وتصف الاشخاص السلبيين بـ (العجزة ، العميان، الاطرش، الاخرس، العالة) وغيرها من المفردات التي تستخدم العاهة الطبيعية بشتم الاخر دون الالتفات لالاف المعاقين الذي يشاهدون او يتابعون هذه البرامج.

كما تعمد معظم المحطات التلفزيونية إلى تقديم المعاقين الذين تلتقيهم في مناسبات مختلفة بصورة هامشية مما يرسخ في الأذهان وبطريقة غير مباشرة الفارق الثقافي والاجتماعي بينهم وبين الآخرين ، وحتى في حالة التناول التي يقصد بها نوع من التعاطف الإنساني معهم نتلمس نوعا من التقديم الفني المعتمد على استدرار العطف اكثر من ابراز الصورة الحقيقية او الانسانية لهم.
وإذا تعدينا البرامج إلى الأغاني فالقائمة ستطول أيضا فبعض الأغاني تأخذ صورة المعاق وتقدمها كجزء من حكاية تعتمد الشك والريبة مثل اغنية" لا تكذبي" للفنانة نجاة الصغيرة او كفقرة كوميدية مستغلة هذا الجانب او ذاك من الاعاقة الجسدية او البصرية ، ويمكن تشخيص ذلك في اغاني الفديو كليب العربية مثل اغنية "قرب اليا" للمطرب ساموزين او اغنية " وين انته" للمطرب حبيب علي.

استنتاجات

ومن خلال ما تقدم يمكن استنتاج ما يلي:

1- قدمت الأفلام السينمائية انواع مختلفة من المعالجات لصورة المعاق تراوحت بين التشويه والذي يمكن تلمسه من خلال مواقع التصوير والأزياء والديكورات، وتحاول الإساءة للقيم الإنسانية التي يملكونها. وصورة المعاق المكافح والذي يحاول ان يجتهد لتقديم افضل ما يمكن دون النظر الى اعاقته كونها حائلا دون طموحاته وامانه في الحياة.

2- تناول الفضائيات قضايا المعاقين بطريقة هامشية ولم تعطهم حقهم الطبيعي من الاهتمام.

3- محاولة استغلال صورة المعاق بطريقة كوميدية في الأغاني والموسيقى وتضمينها العديد من المعاني التي تسيء للمعاق وترسخ بعض الصور النمطية عنه.

4- يقدم الإعلام العربي المعاق كشخص هامشي .

5- ما يحسب لبعض الفضائيات انها افردت زاوية لتقديم الاخبار بطريقة الاشارة للمعاقين الصم والبكم .

obeikandl.com